

المكتب أهمية تصوى نظرا لطبيعة عمله في اعداد والبراغ
وفهرسة مشاريعه المعجبة وسواها . تمثل ذلك في
محضر الجلسة الثامنة 7 / 7 / 1977 من هذه الدورة
بمناشدة السيد المدير العام الى استكمال دراسة نمط
موحد للتكيف بين الحرف العربى والحاسب الالكترونى
تمكينا لمكتب تسييق التعريب من ادخال الحاسب
الالكترونى فى اعماله فى وقت قريب .
هذا بالاضافة الى تأكيدات اخرى تتعلق باللغة العربية
جاءت على لسان عدد كبير من المسؤولين فى المنظمة .
وبذلك يتضح لنا وجه من وجوه الدور الكبير الذى
تضطلع به المنظمة عن طريق اجهزتها المتعددة ومنها
مكتب تسييق التعريب فى العناية باللغة العربية
وترائها التليد وهو دور ينبثق من عمق ايمانها بهذا
الهدف باعتباره احد مقوماتنا الحضارية والتاريخية
ويتضح لنا بالتالى مدى جسامه الرسالة المنوطة بهذه
المنظمة التى ما فتئ القائمون عليها يبذلون الجهود
المضنية المتوالية من اجل تحقيق مراميها الشريفة
وبلوغ اهدافها النبيلة .

— مساعدة ابناء الجاليات العربية على استمرار
صلة بين اجيالهم المتعاقبة وبين لغتهم وثقافتهم .
— مساعدة ابناء الدول الاجنبية الذين يرغبون فى
التواصل المباشر مع العرب عن طريق تعلم لغتهم .
— تعليم اللغة العربية فى الاقطار غير الناطقة بها .
— دعم اللغة العربية باعتبارها احدى لغات
الامم المتحدة ووكالاتها المتخصصة .
— مساعدة الاقطار الامريكية على استئناف
صلتها باللغة والثقافة العربية وتوثيق هذه الصلة .
— المحافظة على استعمال الحرف العربى فى
كتابة اللغات الامريكية والاسيوية .
وفىما يتعلق بمسألة تطويع الحرف العربى
للحاسب الالكترونى الذى كان المكتب قد اثار موضوعه
فى عدة جلسات اللجنة الاستشارية كما انه قدم تقريرا
مفصلا بشأنه جاء فى عروض السادة المسؤولين بالمنظمة
تاكيد هذه الفكرة وضرورة تنفيذها وقد قامت المنظمة
بعده مساع لتحقيق هذه الغاية وهى مسالة يوليها

الدراسات العربية في البلاد الإسلامية غير العربية ماضيها وحاضرها ومايرجى لها من مستقبل...

بقلم الدكتور السيد محمد يوسف
أستاذ اللغة العربية بجامعة كراتشي (باكستان)

الإسلامي غير العربي كان من حيث الأصل منحصرًا في كون اللغة العربية لغة المخاطبات اليومية في الأول وعدم كونها كذلك في الثاني مع الإبقاء على القاسم المشترك بينهما ، وهو قيام المجتمع على أساس الشريعة الإسلامية ، وهو بدوره يقتضى بصورة منطقية واقعية قيام نظام التعليم الموحد في جوهره حول الدراسات الإسلامية ولغتها الوحيدة (لا أقول «الأولى» أو «الأصلية» بل «الوحيدة») أعنى اللغة العربية ، لغة القرآن والحديث .

حجر الأساس للبيئة الإسلامية هو العمل بالشريعة الإسلامية :

لا توجد البيئة الإسلامية الا كنتيجة للعمل بالشريعة الإسلامية ، فإذا انتفى العمل بالشريعة الإسلامية لم يبق الا بعض القشور من العبادات والرسوم والمظاهر الخارجية وانتفت حاجة المسلم الى دراسة الشريعة الإسلامية وهذا هو السر في ضعف وانحطاط وجود الدراسات الإسلامية في البلاد العربية وغير العربية وعدم الاهتمام باللغة العربية في البلاد الإسلامية غير العربية في العصر الحديث ، فما الداعي والباعث على الاهتمام بالدراسات الإسلامية والعربية مثلا ، اذا كان العمل بالقانون الوضعي الاجنبي في معظم البلدان الإسلامية مع الاسف ؟ او لا نرى ان مناهج القانون في معظم البلاد الإسلامية لا تحتوى الا على

الفرق بين المجتمع الإسلامي العربي والمجتمع الإسلامي غير العربي والقاسم المشترك بينهما

« الى جانب الامم المتمرية ، اى التى اطرحت بالمرّة لغاتها الاصلية واتخذت من اللغة العربية لفة مخاطبة في جميع حاجاتها اليومية ، لحقت بسركب الاسلام ام أخرى مستعربة ، أعنى التى خصت اللغة العربية بعنايتها الفاتحة كلغة القرآن والدين والثقافة والآداب والعلوم ، فكانت هى اللغة الوحيدة التى تدرس في مدارسها وكانت جميع مواد التدريس تحضر بها ، فاحتلت مكان الصدارة في مقومات الثقافة ، ومع انها لم تصبح لغة المخاطبة في الحاجات اليومية الا انها كسحت ميدان العلم والادب كسحا بحيث لم تبق للغات المحلية سوى زاوية البيت ومحلات الاسواق حتى اذا نشأت اللغات المحلية وترعرعت بفضل بعض العوامل الطبيعية على مر الزمن وزحفت الى البلاطات والدواوين الحكومية وتسلفت خائفة مذعورة معتذرة الى الادب والشعر لم تامل قط في الإستقلال الذاتى بل قنعت بالدوران في فلك العربية والاخذ والاستفادة منها بالاستمرار لان العوام كانوا يبجلونها فوق كل لغة والخواص لم يكن لهم غنى عنها في كل ما يمت الى الدين والثقافة العامة العلمية والادبية بصلة - (اللسان العربي ، يناير 1969)

فالفرق بين المجتمع الإسلامي العربي والمجتمع

كان لها تأثير قوى بعيد المدى في مكانة اللغة العربية وهي كما يلي :

(أ) استبدال القانون الوضعي بالشريعة الإسلامية
(ب) انخراط نظام التعليم الاجنبي (الانجليزي / الفرنسي) وتوطيده بالطرق الاستعمارية ، وتكسب خطورته (لولا) في العلمانية اى عدم كون الشريعة الإسلامية النواة للتعليم كله ، و (ثانيا) في خلق اللغة العربية عن عرشها واغتصاب السيادة للغة الاجنبية في التعليم وتنفيذة الفكر وتطوير اساليب الحياة وفي ادارة الحكم والاتصالات الدولية والشؤون الصناعية والتجارية .

(ج) بذر بذور الوطنية والقومية الضيقة لتزييق اوصال العالم الاسلامي ومزاحمة الشعور بالاخوة الاسلامية ، ومن مظاهرها البارزة الاعتزاز باللغات الدارجة ضد العربية الفصحى في البلاد العربية واللغات المحلية ضد العربية (= لغة العرب) في البلاد الاسلامية غير العربية . كما ان من تطرفاتها المنطقية الدعوة الى استبدال الحرف اللاتيني بالحرف العربي .

ومن الاغلوطنات الشائعة ان الاستعمار في البلاد الاسلامية غير العربية واد اللغات المحلية او نصب العداء لها بينما الحقيقة ان الاستعمار هو الذي نشر فكرة « لغة الام » وتولى رعاية اللغات المحلية بل تملقها وشجعها لتزاحم اللغة العربية (والفارسية ايضا) كما انه هو الذي حاول تمجيد اللهجات الدارجة واحياء البربرية وما اليها للقضاء على العربية الفصحى في البلاد العربية وكاثت النتيجة ان الاردية مثلا تشجعت في عهد الانجليز حتى احتلت مكان العربية في الحياة الثقافية بينما هي لم تقو على ان تزحزح الانجليزية من مكانها لان ويصدق هذا القول على اللغات المحلية في البلدان الاسلامية الاعجمية الاخرى .

وبما انه ليس من السياسة الممثلة التخلي عن الدين تماما بالنسبة لعامة الشعب المسلم في اى بلد كان، عربي او غير عربي ، كان التحول الخطير السالف الذكر سببا للاهتمام بتراجم القرآن بدل الاهتمام بالقرآن العربي وهلم جرا الى ان فوجئنا بدعوة صريحة وقحة الى الاذان والصلوة باللغات المحلية !!

واخطر منها بكثير ما حدث منذ الاستقلال اعنى الاستغناء عن العربية في تعليم الدين ووضع مادة

تدر ضئيل من الشريعة الاسلامية وهو الذي يخضع الاحوال الشخصية فقط ؟ اما دراسة الشريعة الاسلامية في المعاهد الخاصة بها فهي دراسة علمية نظرية بحتة ، ومثل تلك الدراسة لا تبرز البيئة الاسلامية الى الوجود في الخارج ، بل تشعر نفس الدارس بعدم وجودها في الواقع .

لقد كثر الكلام عن تطويع السينما والتلفزيون والراديو لاغراض خلق البيئة الاسلامية ، وهو بمثابة وضع العربة امام الحصان ليس الا - فباى حق او باى منطق يريد المسلم ان يخضع الآلات والوسائل لاغراض الاسلام قبل ان يخضع نفسه - فكره وعمله - للشريعة الاسلامية ؟

تتبين هذه الحقائق من وضع اللغة العربية فى التعليم والثقافة الاسلامية في البلدان الاسلامية غير العربية عبر العصور الى القرن التاسع عشر الميلادى :

(ا) لقد حظيت اللغة العربية بالسيادة المطلقة في برامج التعليم تبعا لمكانة الشريعة الاسلامية في حياة الشعوب المسلمة من حيث العمل الذي يستلزم الرجوع الى الشريعة في كافة المعاملات وتصرفات الحل والمعد والحرب والسلام .

(ب) احتفظت اللغة العربية بسيادتها المطلقة دون ان تزاحمها اللغات المحلية ، فكان للغة العربية مكان الصدارة في برامج التعليم والتربية في البلاد الاسلامية غير العربية حتى بعد نشأة اللغات المحلية وآدابها ونقل بعض العلوم اليها لسهولة الكثرة الكاثرة من الجهال وانصاف المتعلمين ، لا لتمجيد اللغات المحلية واستغناء العلماء والمثقفين بها عن اللغة العربية ، فلم يكن للغات المحلية الا التبعية للغة العربية ، وكان الوضع يعتبر وضعا طبيعيا في صالح اللغات المحلية نفسها .

(ج) لم توجد ولم تفرض على المسلمين بالقوة لغة اجنبية ، اعنى الانجليزية والفرنسية وما يقوم مقامها في خلق الازدواجية في الفكر والسلوك في السياسة والحكم والعوائد الاجتماعية .

الوضع الحاضر وما ينفذ به من الشر المستطير في المستقبل :

لقد جرت الامور هذا المجرى الطبيعي طوال القرون الى ان ايطاليا باحتلال الغربى فانتقلت الاوضاع راسا على عقب ، ولتكلف بالقول في اهم النقاط التى

جديدة باسم « الاسلاميات » و « المعارف الاسلامية » وزرعها كمادة غريبة في برامج التعليم المصرية في المدارس والكليات التابعة للحكومة ، وهذه المادة عبارة عن تراجم باللغة المحلية او الانجليزية - ربما كانت ناقصة وغير معتمدة - لبعض سور القرآن والاحاديث النبوية ومقارنة بعض المذاهب الفكرية والاقتصادية المصرية بالاسلام (بدون دراسة الاسلام دراسة اصيلة كافية) مقارنة غير سليمة وغير نزيهة في بعض الاحوال بحيث يشعر النشء بالنقص في الدين وافتقاره الى ما يكمله او يطوره من الخارج .

ولنسرده الآن بعض الاحداث شبه السياسية التي تتراءى كعالم الصوى في طريق انحراف التعليم والثقافة عن الاصاله العربية في البلدان الاسلامية غير العربية .

اولا : تركيا - وكان لها تصب السبق في استبدال الخط اللاتيني بالخط العربي ومنع الاذان باللغة العربية وقطع علاقة اللغة التركية باللغة العربية الى حد ابعاد الكلمات العربية والامثال منها بقدر المستطاع في اللغة التركية والاعراض عن دراسة اللغة العربية بوجه خاص حتى كلفة اجنبية (لانها لن تكون اجنبية ابدا) - ومهما قيل عن تحسن الاوضاع وظهور اتجاهات جديدة في الآونة الاخيرة فان الحقيقة لا تزال تحز في النفس ان العربية مبعدة خارجة عن برامج التعليم القومية والثقافة العامة للشعب التركي المؤمن بالاسل .

ثانيا : ايران - غمرت ايران ايضا موجة « فارسي سره » (الفارسية المحضة) برهة من الزمن ، ولكن سرعان ما اصطدمت بصخرة الواقع الذي ابنى ان يخضع للاهواء المتطرفة فانحسرت مياه « فارسي سره » والحق يقال ان العلماء والادباء في ايران ثابوا الى الرشيد واعترفوا باهمية العنصر العربي في توام اللغة الفارسية ، ولذلك نرى ان الوضع في ايران احسن بكثير مما هو في البلاد الاسلامية الاعجمية الاخرى بدليل ان دراسة العربية اجبارية بالنسبة لطلاب الآداب فيها الى اعلى الدرجات العلمية .

ثالثا : باكستان - الدولة الفتية التي تأسست على الاسلام والاخوة الاسلامية ، الا انها سرعان ما اصبحت بالمعتم من الناحية الثقافية واصبحت فريسة للقومية الوطنية المستقرة المنتقبة بالاسلام ، وظهرت آثار هذا الداء العضال في التحمس للغة الوردية كلفة اسلامية ، وربما خيل لنا ان هذا التحمس كان بدافع

من النزعة الاسلامية وموجهاً ضد الانجليزية المنيخة بكلكتها على جميع ميادين النشاط العلمى والادارى ، لكن الحقيقة ان المتحمسين للغة الوردية كانوا موالين صادقين للغة الانجليزية حيث لم يفتروا يؤكدون عدم المساس بوضع الانجليزية كلفة ثانية محترمة اجبارية ، انما لانوا بالصمت الماكر وحذجوا تنافذهم في الظلام لينموا اللغة العربية من ان تنبوا المكاة اللائقة بها كلفة اولى في برامج التعليم الحكومية ، لانهم شعروا في قرارة انفسهم ان اللغة العربية لعداستها وغزارة مادتها وسهولة تصريفاتها واستجابتها الطويلة للحاجات العلمية هى المنافسة التى لن يسع الوردية غير تبعتها كلها وجدت وحيثما وجدت - اصف الى ذلك ان المتحمسين للوردية كانوا من الذين تتقفوا ثقافة انجليزية وجهلوا العربية جهلا مزريا ، وتديما كان الناس اعداء ما جهلوا - فالغرض ان التحمس للوردية كلفة اسلامية (ضد العربية) انما ينطوى على الكياسة البراة الخالدة ، وانكشفت اللعبة وافتضحت النوايا حينما نادى المرحوم آغاخان الثالث بتعميم اللغة العربية وجعلها اللغة الاولى في باكستان ، ولم يلق آغاخان القول جزافا بل دعمه بحجج وبراهين وكأنه بثاقب نظره تنبأ بالكوارث التى حلت بباكستان فعلا في صورة عدم الاخذ برأيه - « قد قلت حقا ولكن ليس يسمعه » - نعم (ثار المنتصرون للوردية ضد آغاخان وبقيت الانجليزية متترجة على انتصار الوردية الاسلامية) حسب دعاوى القوم وغلوائهم على العربية - ثم ما لبثت ان باضت وفمرخت هذه الوطنية فمئيت الوردية بمثل ما منى به العرب عقب ثورتهم ضد الاتراك فنشبت الصراع بين الوردية من جهة وبين اللغات المحلية مثل البنغالية والسندية من جهة اخرى وسالت الدماء في الشوارع والطرقاات وانتهت المعارك باقامة نصب تذكارية لشهداء البنغالية والوردية هنا وهناك - « الشهداء » الذين قاتلوا وقتلوا مضللين مدفوعين بحمية الجاهلية والنصب التى لا يزال الفواة يزورونها على الطريقة الوثنية بتقديم الازهار والرياحين في مناسبات - كل هذا والعلماء ورثة الانبياء ساكتون صامتون واذا سئلوا جججوا ولم يصرحوا والاسلاميون السياسيون حذرون وجلون من معاكسة التيار الجارف وقتنذ - وهل يرجى بعد ذلك غير ان تبقى العربية مهله منسية مغفورة لا تجد لها ناصرا ولا شهيدا - ولا يخفى ان الوضع لم يتغير جوهريا بعد مؤتمر القمة الاسلامى بلاهور وادخال مادة في دستور باكستان

بشأن واجب الحكومة نحو تعميم اللغة العربية فان العربية لا تزال عرضة للاهمال في المدارس والكليات والجامعات الحكومية كما كانت من قبل .

رابعا : بنغلاديش - لقد معنا أننا الى حتى التعصب للبنغالية ، وقد كان هذا التعصب موجها في المرتبة الاولى الى الأردوية بعد ما اعتبرت رمزا لسيادة أهل الجناح الغربي من باكستان بما فيهم المسلمون المهاجرون من الهند ، الا ان العربية وقعت بين شقي الرحي فلم يسمع لها ذكر البتة - انها ذكرت العربية من خلال الدعوة الى استبدال الخط العربي بالخط الهندي السائد في كتابة البنغالية ومع الاسف الشديد لم تلق الدعوة قبولا ونجاحا وكان الخط العربي فقد الاحترام اللائق به لا لشيء الا لكونه الخط المستعمل لكتابة الأردوية - ولا يخفى ان قضية « البنغالية ضد الأردوية » كانت بداية لحركة سياسية انتهت بتدخل الهند وحليفها روسيا لفصل الجناح الشرقي من باكستان - والآن وقد تم استقلال بنغلاديش (من باكستان بدون شك) لم يبق في الميدان الا البنغالية والانجليزية ، لا ادري لايهما السيادة في التعليم والثقافة ، انما يعني ان العربية لا تزال مطوية الذكر وكذلك الخط العربي فان البنغالية لا تزال تكتب بالخط الهندي .

خامسا : جنوب شرقي آسيا بما فيها اندونيسيا وماليزيا - طالما كانت هذه البلاد مجالا لنشاطات عربية قوية حتى كثر الناطقون بالضاد بها وتأثرت آداب اللغتين الاندونيسية والماليزية بالعربية وكتبت اللغتان بالخط العربي الى ان طلع فجر عصر الجمهورية والديموقراطية التي استلزمت بشأن الاكثريّة المسلمة ان تتنازل عن مقومات ثقافتها استرضاء للاتلية غير المسلمة فكانت النتيجة ان سبقت اندونيسيا وتبعنها ماليزيا لاستبدال الخط اللاتيني بالخط العربي والتخيم من شأن اللغة المحلية الى حد مزاحمتها للغة العربية في حقل التعليم والثقافة - والظاهرة الجديدة التي ملأت قلب حيرة ويأسا أن هناك مدارس عربية قوية نالت الاعجاب والاعتراف من الجامع الأزهر تدرس بها جميع المواد الاسلامية باللغة العربية ، ولكن كلما شملتها الحكومة بالرعاية والاصلاح حسب خطة مرسومة لجعل التعليم الديني اكثر ملامة واستجابة لروح العصر ، كما يقولون ، ضمنت العربية من ناحيتين :

الاولى : توسعت العلوم العصرية على حساب المواد الاسلامية - والثانية ، وهي اخطر بكثير ، زاحمت اللغة المحلية اللغة العربية حتى في قطاع تدريس المواد الاسلامية ، ويتجلى هذا الوضع في الجامعات الحديثة حيث توجد اقسام بل كليات مستقلة للمعارف الاسلامية الا ان الاتجاه السائد فيها هو التزيد المستمر من استخدام اللغة المحلية وحصر العربية في المتون القليلة فقط .

والعقبة الكاداء في سبيل احلال العربية محلها في التعليم والثقافة الاسلامية هي الطبقة المثقفة ثقافة اجنبية عصرية اعدھا المستمر لتخلفه في الحكم والادارة - انتهزت هذه الطبقة الفرصة التي سنحت بعد استقلال البلاد الاسلامية غير العربية فاستغلت سلطتها ونفوذها لاعتلاء المنابر والتكلم عن الاسلام كلاما ملفقا من هنا وهناك ، ولم تستنكف هذه الفئة المتكبرة عن الاجترار على الاسلام مع عدم المامها بحرف واحد من العربية ، فكم تجدون محاميا درس كل قانون من رومي وانجليزي وفرنسي وسويسري غير اللغة العربية والقرآن والسنة ، ثم هو يتشدد في الاجتماعات المحلية والمحافل الدولية بالفقه والقانون الاسلامي ، كذلك ترون مؤرخا درس تاريخ العالم غير التاريخ الاسلامي الذي يفيض فيه من المصادر الثانوية بحيث لا يحسن النطق بأسماء الاعلام العربية - فأبثال هؤلاء من الطبقة المثقفة ثقافة اجنبية في البلاد الاسلامية غير العربية هم الذين يرجعون الى الترجمة الانجليزية للقرآن ويتساطون عن التراجم الانجليزية للحديث ويتسقطون على مدونات القاتسون الاسلامي باللغات الاجنبية ويستقون معلوماتهم عن الاسلام من منابع الكتب الانجليزية والفرنسية وما اليها ومعظمها من نتاج الفكر الغربي الاستشراقي الذي ثبت عداؤه للاسلام من دون شك .

وهذه الطبقة هي التي تدعى الاستغناء عن العربية وتزدري وتستهزئ بالذين درسوا الاسلام من مصادره العربية الاصيلة وتسمى جاهدة للفصل بين العربية ومناهج دراسة الاسلام ، اذا كان لا بد منها ، في الكليات والجامعات - وفي هذا كله تجريح صارخ لحرمة الدين واعتداء على الاتدار العلمية ، وقد بلغ الحال ، ولا سيما في باكستان والهند الى ان الذين يجهلون العربية تماما لا يرون بأسا من الاتدام على ترجمة القرآن وتفسيره ، بحيث اصبح لزاما على رجال العلم ان يعملوا ما في وسعهم لحماية الكتاب « من عبث المترجمين وخطا الشراح وعدوان المتبسين » .

والخطابة والكلام العادى فى مناسبات يومية فكل ذلك بعيد المنال بالنسبة للطالب الذى لم يثر همته الادب كادب قسط .

وقد دعت جماعة من العلماء فى القرن الماضى الى اصلاح هذا الجانب من مناهج المدارس القديمة ، ومثل هذا الاصلاح كان الغرض الاصلى من انشاء داراً لعلوم ندوة العلماء بلكنو (الهند) فتحققت النتائج المطلوبة فى مجال الانشاء والمصاحفة والخطابة الا ان البحث الادبى العلمى لا يزال بحاجة الى المزيد من العناية ، يصدق هذا على بعض المدارس التى اهتمت بالاصلاح المماثل فى باكستان مثل المدرسة الاسلامية العربية بنيوتاون - كراتشى - حيث يبذل مديرها ، الشيخ محمد يوسف البنورى ، مساعى خاصة فى هذا السبيل .

ومن الجدير بالملاحظة ان التكلم بالعربية ميسور لكثير من متعلمى اللغة العربية فى جنوب شرقى آسيا ، وربما كان مرجع ذلك الى وجود الجاليات العربية بين ظهرانيتهم ومواصلة العلاقات المتينة المستديمة بينهم وبين الازهر ولكن يندر فيهم من يظطلع بالادب على عكس ما نعرفه عن بعض اهل الهند وباكستان الذين نبغوا فى خدمة الآداب العربية مع ضعف المستوى العام لاستخدام اللغة العربية فى المناسبات اليومية .

والثانى هو المنهج السائد فى الكليات والجامعات الحديثة على الطراز الغربى ، ويختص هذا المنهج بدراسة الآداب لذاتها من غير ان تكون قرينة للدراسات الدينية الاسلامية ، فان الاخيرة منتفية منبوذة لم يسمح لها بالدخول فى الجامعات الحديثة الا فى الآونة الاخيرة ، ولما اقتحمتها قبيل الاستقلال أو بعبده كان التيار القومى على أشده مما جعل الدراسات الاسلامية فى كنف اللغات القومية المحلية تحت وصاية الانجليزية فى بعض الاحيان بسدلا من العربية التى جهلها المتسلطون على ادارة التعليم كما مر - فالغرض ان الآداب العربية تدرس لذاتها فى الكليات والجامعات الحديثة ضمن برامج تدريس اللغات وآدابها مستقلة عن العلوم الدينية المدونة فيها - والواقع ان اللغات الكلاسيكية ، وعلى رأسها العربية ، كانت تتمتع بمكانة مرموقة فى برامج التعليم الحديثة أيام الانجليز اسوة باليونانية واللاتينية فى أوروبا وانجلترا ، وحتى الفارسية لم يكن لها وضع مستقل عن العربية - أما اللغات المحلية فى البلاد الاسلامية غير العربية فانها كانت تعتبر فروعاً ناعمة

والطبقة المثقفة ثقافة اجنبية هى التى تبعث الشبان غير الناضجين من المسلمين الى جامعات أوروبا وأمريكا لتلقى علوم القرآن والحديث والفقه والتاريخ الاسلامى من اليهود والمسيحيين المبشرين السافريين والمستشارين لوزارات الخارجية وقلم المخابرات التابعة لحكوماتهم فى كثير من الاحيان ، وحتى فيما يتعلق بالادب العربى فان الطلبة فى البلاد الاسلامية غير العربية يجبرون فى الجامعات الاوربية والامريكية على تعلم الالمانية والفرنسية لنيل الشهادات العالية فى الآداب العربية بينما تبقى العربية نسيا منسيا ، ولا غرو أن تكون اضعف عند رجوع الطالب الى وطنه مما كانت عليه من قبل .

ويتضاعف الجدل ويتفاقم الشر اذا جلس تلاميذ المستشرقين هؤلاء للتدريس فصاروا ابواقاً للآراء المنحرفة مع ضعفهم الزمنى فى العربية والصادر الاسلامية الاصلية - وقد كان الدكتور محمد اقبال نصح الشبان المسلمين من زمان بأن لا يفتتنوا بالتلمذ على المستشرقين فى المواد المتعلقة بالاسلام ، بل يرجعوا الى الشيوخ العلماء المسندين من المسلمين المخلصين لله والدين فى مصر وفى غيرها من البلاد العربية والاسلامية .

فى جميع البلدان الاسلامية غير العربية تقريباً يوجد منهجان متميزان لدراسة اللغة العربية : احدهما المنهج السائد فى المدارس القديمة ، ويلاحظ ان اللغة العربية تدرس فى هذه المدارس مقرونة دائماً بالعلوم الاسلامية من التفسير والحديث والفقه ، وربما نتج من هذا التلازم ان لم تكن آداب اللغة العربية مقصودة لذاتها ، بل اصبحت اللغة العربية مجرد أداة لتحصيل العلوم الاسلامية ، ولذلك المقررات من الادب لا تعدوا بعض الكتب التى لم تترشح عن مكانها عبر القرون والاجيال امثال « مقامات الحريري » و « حماسة ابي تمام » و « السمع المعلقات » والاهتمام كله منصب على تلقين قواعد النحو والصرف بأمثلة فى قوالب متحجرة جامدة تدور بين زيد وعمرو مع عدم التوسع فى المطالعة وقلة التمرين - وتأتى النتيجة على حسب المنهج فان الطالب يحق تمييز الازواح الصرفية والنحوية للكلمات ويحفظ مجموعة من مفردات اللغة - تلك المفردات التى تعينه فى فهم النصوص القرآنية والحديثية ، أما ما عدا ذلك من معرفة أساليب العرب المتنوعة ونشأة الذوق الادبى وملكة نقد الشعر والنثر والمهارة فى الانشاء

المقترحات

وعلى ضوء ما تلتناه آتفا عن الوضع التاريخي
والواقع الملوس حاليا نخلص الى المقترحات الآتية :

المقترح (1)

من حيث ان اللغة العربية تحتل المكانة الاولى
من بين المقومات الاساسية للدين والثقافة الاسلامية
يجب على الحكومات في البلاد الاسلامية غير العربية
ان تتبادر الى اتخاذ ما يلزم لجعل اللغة العربية للسان
الاولى بالنسبة للمسلمين عملا بقول الامام الشافعي :
ينبنى لكل احد يقدر على تعلم اللغة العربية ان
يتعلمها لانها للسان الاولى (رواه السلفى باسناده)
— و « اللسان الاولى » لا تعنى اللغة الرسمية في
الادارة ولا لغة المخاطبات اليومية ، انما تعنى ان تكون
العربية هي المنفوتة على اللغة المحلية (القومية)
واللغة الاجنبية (الانجليزية) وما اليها في التعليم
والثقافة العامة بحيث لا يعتبر مثقفا ثقافة أصيلة
متكاملة من لم يتعلم اللغة العربية باتقان .

المقترح (2)

ويتبع هذا الوضع ان تلتزم وتحفظ جميع
اللغات المحلية بالخط العربي وتتراجع الحكومات
والقيادات المتوددة الى الغرب القهقري الى الخط
العربي بعد ما تبين لها خطأ استبدال الخط اللاتينى
به وفداحة الخسارة الدينية والثقافية المترتبة على
ذلك — كذلك يجب الاسراع الى نبذ الخط غير العربي
بشان بعض اللغات مثل البنغالية وعدم التلكل في اتخاذ
الخط العربي لها بعد ما زالت الاعتبارات السياسية
التي سببت التثبوت والاعتزاز بالخط غير العربي في
الماضى القريب .

وهاتان الخطوتان ، اعنى (1) جعل الاولوية
للعربية في التعليم و (2) توحيد الخط العربي بالنسبة
لجميع اللغات المحلية في البلاد الاسلامية غير العربية
سيكون لهما فعاليتها وتأثيرها في توجيه نشأة اللغات
المحلية وجهة العربية وصبغها الصبغة الاسلامية ،
فان الوضع الذي سينجم عن اتخاذ الخطوتين هو
ان يكون كل متعلم مثقف ، كاتب او شاعر ، ذا لسانين
— اللسان العربي واللغة المحلية — والتقاؤهما في
ثقافة موحدة سينجر مرة اخرى تلك العيون التي

ناحية للعربية والفارسية ، وذلك هو الوضع الطبيعي
التاريخي الذي تفره الروح العلمية المحضة ايضا ،
ولكن حدث بعد الاستقلال ان تيار القومية الهوجاء
جرف بالمكانة الرموتة للغة العربية حتى تركها كالمعلقة ،
لا هي اجبارية (وقد كانت دراسة احدى اللغات
الكلاسيكية — العربية والفارسية والسنسكريتية —
اجبارية الى حد الشهادة الجامعية — B.A. أيام الانجليز)
ولا احد يختارها باختياره وفي الوقت نفسه قفزت
اللغات المحلية (« القومية » كما تلتب في الغرب
تخفيا وتمجيدا) الى القمة حتى أصبحت اجبارية
وادعت الاستغناء عن العربية خاصة بينما رضيت
بالتعايش مع الانجليزية كلفة اجبارية اخرى — وانتهى
الامر بما لم يكن في الحسبان ، اعنى الاستغناء عن
العربية في مجالات لا غنى عن العربية فيها ، الا وهي
العلوم الدينية والتاريخ الاسلامي والفلسفة الاسلامية .

على كل حال بقيت اتسام اللغة العربية في
الكليات والجامعات الحديثة منذ الاستقلال تتلمس
الطرق لتأدية وظيفتها ، وكان الجو العلمي في الكليات
والجامعات الحديثة مساعدا لتغيير مقررات الدراسة
حسب التوسع في احياء ونشر التراث العربي القديم
وادخال المواد الجديدة مثل تاريخ الآداب ومقاييس
النقد الادبي والادب الانطلسي والادب الحديث — كل
هذا بخلاف الجمود والتصر على كتب بعينها في المدارس
القديمة — وكانت النتيجة ان المتخرجين من الجامعات
توسموا في دراسة الآداب بأصنافها المختلفة مع
ربطها بالتغيرات الاجتماعية والتيارات الادبية في اطار
التاريخ العام وحصلوا على قدر من الذوق الادبي
مع الاخذ بمنهج البحث والتحقيق المعصرية ، الا انهم
بقوا على العموم ضعافا في استخدام اللغة في الكتابة
والمكالمة ، وربما لم يتقنوا تطبيق قواعد الصرف والنحو
في القراءة — وقد لوحظ ان معظم البحوث والاطروحات
المقدمة الى الجامعات لنيل الشهادات العليا في الآداب
العربية كانت مكتوبة باللغة الانجليزية على المادة
المتبعة في الجامعات الغربية ، لم يتغير هذا الوضع الا
في الآونة الاخيرة حيث قدمت البحوث والاطروحات
الى بعض الجامعات الهندية والباكستانية باللغة
العربية ، على سبيل المثال كتاب « الترك في
مؤلفات الجاحظ » الذي صدر من دار الثقافة ببيروت
وهو يمثل اطروحة قبلت لمنح الدكتوراه من القسم
العربي بجامعة كراتشي .

والثانوية اللتان يلتقن فيها الطالب تعاليم الدين المبسطة باللغة التي نشأ على تداولها وفهمها بينما يجرى اعداده لدراسة وفهم النصوص العربية في مرحلة التعليم العالي .

والمواد الاسلامية هي بالتفصيل : القرآن والحديث والتفسير ومصطلح الحديث والفقه والاصول — هذه هي المواد الدينية الاصلية التي لا ينبغي ولا يتأتى تدريسها الا عن النصوص العربية فقط .

وهناك بعض المواد في المرتبة الثانية ينبغي لطلابها كذلك أن يكون على استعداد للرجوع الى المصادر العربية الاصلية وأن لم يدرس المادة عن النصوص العربية تماما ، مثل التاريخ الاسلامي والفلسفة الاسلامية اذا درسها الطالب (من غير تخصص فيهما) كجزء من تاريخ العالم والفلسفة العامة .

فاذا تبوات العربية المكان اللائق بها وحظيت بالاحترام والتقدير بالنسبة الى اللغات المحلية والانجليزية وما اليها — تلك اللغات التي لم تزل منذ عهد الاستعمار ولا تزال حتى بعد الاستقلال السياسي تنازعها وتناوئها وتزحزحها عن مكانها في برامج التعليم القومية — نعم ! اذ ذاك يجب اتخاذ التدابير لسد النقص في الاوضاع الحالية :

فاولا : فئة المتخرجين من المدارس الاهلية الدينية العربية وهم الذين افنوا اعواما طويلا في دراسة اللغة العربية بالطريقة القديمة المعروفة بـ « طريقة القواعد والترجمة » وهي الطريقة التي كانت متبعة في تدريس اللغات الاجنبية — ولا سيما الكلاسيكية القديمة — في اوروبا ايضا الى وقت قريب ، يتقن الطالب بموجب هذه الطريقة الصرف والنحو ويحصل له المقدرة على فهم النصوص ، انما ينقص هذه الفئة :

(ا) التمكن من استخدام اللغة في الكتابة والانشاء وفي الخطابة ، ولا سيما المكالمات اليومية .

(ب) التوسع في الاطلاع على الآداب القديمة .
(ج) الآداب الحديثة مهملة عندهم تماما ، وربما لا يقفون على شيء منها .

(د) تاريخ الآداب والاطار العام من الاحوال السياسية والاجتماعية التي اثرت في نشأة الآداب ووجهتها ووجهتها الخاصة .

(هـ) النقد الادبي — اصوله ومناهجه .
وبما أن السبب الرئيسي في وجود هذا النقص —

طالما نبعت من العربية ورقدت اللغات المحلية بالكلمات والتراكيب والمصطلحات الفنية وتوالب التعبير والكتايبات والتلميحيات والاستعمارات والانكار والاحاسيس ومباني الشعر والنثر ، انما نضبت تلك العميون منذ أن تحول المثقفون من العربية الى الانجليزية أو ما اشبهها من اللغات الاوروبية .

لو تصفحنا قليلا الفارسية والتركية والاردوية لوجدناها تنسم بملامح بارزة للاستعراب ، منها (1) عدد كبير — بنسبة ستين في % وأكثر في بعض الاحوال — من المفردات — الاسماء والصفات والافعال ومشتقاتها — المنقولة من العربية الى اللغات المحلية .

(2) كذلك الالفاظ الدينية والمصطلحات العلمية والتعبيرات العلمية الدقيقة والادبية اللطيفة المنقولة بالحرف أو المأخوذة بالمعنى عن العربية .

(3) ثم النسج على منوال الآداب العربية في انشاء الآداب المحلية ، خذ مثلا الشعر بأوزانه وبحوره واقسامه من القصيدة والغزل — انما تسنى مثل هذا الاتصال بين اللغات المحلية والعربية لان الكتاب باللغات المحلية كانوا تعلموا اللغة العربية بالدرجة الاولى فانتبسوا منها ما يلحقون به اللغات المحلية ويطورونها لخدمة الاغراض الدينية والثقافية الاسلامية ويصدق هذا قليلا أو كثيرا على جميع اللغات المحلية المتداولة بين المسلمين في مختلف البقاع ، لا فرق من حيث جوهر القضية ، انما الفرق في المقدار فقط .

انما أكدت هاتين الخطوتين لكونهما لا بد منهما لاسترداد المكانة اللانعة باللغة العربية في برامج التعليم القومية في البلاد الاسلامية غير العربية وهما تمهدان السبيل للمقترح الثالث ، وهو :

المقترح (3)

الاستنكار الشديد للاتجاه السائد في البلدان الاسلامية غير العربية الى الاستغناء عن العربية وتدريس المواد الدينية الاسلامية باللغات المحلية أو الاجنبية مثل الانجليزية — يستوجب هذا الاتجاه الاستنكار الشديد لكونه مخالفا للغرض الديني ومناقضا للاقتدار العلمية البحتة — اذن يتحتم على جميع الجهات المعنية بالامر أن تتبادر الى تصحيح الاوضاع حتى يعم تدريس المواد الاسلامية كلها بالنصوص العربية لا غير ، يستثنى من هذا الاصل المرحلتان الابتدائية